HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

الموروث الديني في شعر بشّار وأبو تمّام

ذياب سرحان سعلو عرابي الرفيعي[1]

[1] طالب دكتوراه، كلية التربية حنتوب، جامعة الجزيرة، السودان

اشراف الدكتور بابكر الأمين الدرديري

تاريخ القبول: 2020/12/07م تاريخ النشر: 2021/01/01م

المستخلص

بشّار أحد الشعراء الذين تأثّروا بالقرآن الكريم، ولم يقتصر تأثرُهُ على الاقتباس القرآنيّ في شعرِهِ فحسب، بل ظهر ذلك التأثُّر حتى في بعض أقوالِهِ؛ الاقتباس النصّي المباشر من أقلِّ الأنواع حضوراً في شعر بشّار بن بُرد؛ أجادَ بشّار في نمط الاقتباس التحويري، فهو أدلى بمجموعة جميلة من الصّور والأفكار، ولاسيَّما في غرض الغزل؛ الثقافةَ القرآنيّةَ لبشّار – بكلِّ أنواعِها- مكَّنَتهُ من إيصال أفكارٍ عديدة حاولَ فيها إعطاء أكبر بعد دلاليّ يفهمُهُ القارئ؛ وسِمَ شعر بشّار بن بُرد بمجموعة من الأحاديث النبويّة الشريفة، التي يبتغي منها تعزيز المعاني الشعريّة بالثقافة الدينيّة ؛ تأثر أبو تمام بالقرآن الكريم وظهرت آثارها في شعره, وذلك من خلال استخدامه معانيه وألفاظه وصوره؛ أشار أبو تمام في شعره لبعض السور مثل الأنفال والأنعام؛ تأثر أبو تمام بالقصص الدينية وأفاد منها بحكم قربه من الخليفة؛ اقتبس أبو تمام الحديث النبوي الشريف النصي واللفظي وبالإشارة لتجميل أبياته الشعرية.

RESEARCH ARTICLE

THE RELIGIOUS TRADITION IN THE POETRY OF BASHAR AND ABU TAMMAM

Dheyab Sarhan Sallo El- Rufaye[1]

[1] Hasahisa College of Education / University of Al-Gezira / Sudan

Supervised by Dr. Babikir Al-Amin Al- Drdeiry

Accepted at 07/12/2020 **Published at 01/01/2021**

Abstract

Bashar is one of the poets who have been affected by the Holy Qur'an, and his influence was not limited to the Qur'anic quotation in his poetry only, but that influence appeared even in some of his sayings. Direct text quotation is one of the least present types in Bashar bin Barad's poetry Bashar excelled in the style of adaptive quotation, as he presented a beautiful set of pictures and ideas, especially for the purpose of spinning; Bashar's Quranic culture - with all its forms - enabled him to convey many ideas in which he tried to give a greater semantic dimension that the reader could understand. Bashar ibn Burd's poetry was marked by a group of noble hadiths, which seek to enhance poetic meanings in religious culture. Abu Tammam was influenced by the Holy Qur'an and its effects appeared in his poetry, through his use of its meanings, words and pictures. Abu Tammam referred in his poetry to some surahs such as the Anfal and the Anam. Abu Tammam was influenced by the religious stories and benefited from them by virtue of his closeness to the caliph. Abu Tammam borrowed the textual and verbal hadith of the Prophet with reference to beautifying his poetic verses.

المقدمة:

توقّف الشعراء عند بعض الآيات القرآنية ،وتمثّلوا معانيها ، وأدخلوها في أشعارهم، فقد ظهر أثر القرآن الكريم في أساليب الشُّعراء، وقد أعطى ذلك التأثُّر شعرهم قوّة في التعبير ، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقهم خشونة الألفاظ الجاهلية التي كانت سمةً بارزةً في الشعر العربي القديم.

مشكلة البحث:

كانت قوة الأسلوب وبلاغة التعبير في القرآن الكريم مثارَ اعجاب الشعراء، ومدعاةً لتأثّرهم باسلوب الكتاب العزيز، حتى بدا ذلك واضحاً في نتاجهم الأدبيّ باقتباس آيٍّ من الذكر الحكيم، ومن هنا جاءت مشكلة البحث وهي توضيح أثر القرآن الكريم في الشعر العربي ، لا سيما في شعر بشّار بن برد وأبو تمّام، وتوضيح الأنماط المختلفة لهذه الاقتباسات.

فروض البحث:

- تأثر الشعراء العرب في مختلف العصور بنظم وأساليب القرآن الكريم.
- اقتبس بشّار بن برد وأبو تمّام من آي القرآن الكريم.
- تنوّعت أنماط الاقتباسات الشعرية من القرآن الكريم في شعر بشّار بن برد وأبو تمّام.

أهداف البحث:

- توضيح تأثير القرآن الكريم في أساليب ونطم الشعراء العرب.
- توضيح الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم بأساليبه ونظمه في شعر بشّار وأبو تمّام.
- توضيح الأنماط المختلفة للاقتباس في شعر بشار وأبو تمام.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

الدراسات السابقة:

– دراسة مقدمة من الطالبة هناء فلحان القرشي، بعنوان: الاقتباس والتضمين في شعر ابن دراج القسطلي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1434 – 1435هـ.

المبحث الأول

الاقتباس من القرآن الكريم

اولاً:الاقتباس من القرآن الكريم عند بشار بن برد

أنزلَ الله تعالى القرآن على نبيّهِ نوراً وهدىً وشفاءً لِمَا في الصدور، فأحكَمَ آياتَهُ، وألزمَ الناسَ الخضوعَ لَهُ، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[1]، ولا شكَّ في أنَّ النصّ القرآنيّ نصٌّ معجزٌ فريدٌ تحدّى اللهُ به عبادَهُ، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[2]، فمنذُ نزولِهِ على نبيّنا (عليه وعلى آلِهِ وصحبه أفضل الصلاة والسلام) كان لتأكيد عظمة الخالق وقدرتِهِ، ولنشر نور الإسلام في النفوس، ولتوطيد العلاقات الإنسانيّة بين أفراد المجتمع؛ لِمَا فيه من قوّة في التعبير، وبلاغة في الاسلوب، كانتا مثارَ اعجاب الشعراء، ومدعاةً لتأثّرهم باسلوب الكتاب العزيز، حتى بدا ذلك واضحاً في نتاجهم الأدبيّ باقتباس آيٍّ من الذكر الحكيم، ذلك أنَّ ((الاقتباس القرآنيّ إشارةٌ دلاليّةٌ حاسمةٌ مع إيجازِها))[3]، تستدعي المتلقي إلى ذائقة الشاعر الدينيّة، وجمال التوظيف الفنيّ، فمنذُ أنْ بزغَ نور الإسلام ما فتئ الشعراء ينهلون من معين التعبير القرآنيّ، ويتأثّرونَ بنظمِهِ وسَبْكِهِ، ولعلَّ تأثُّر الشعراء – ولاسيَّما الشاعر المسلم – يعودُ إلى أنَّ الشاعرَ قد تلقّى تعاليم القرآن منذُ صغَرِهِ، فلابُدَّ من أنْ يتسرب

(1) المائدة: 44.

(2) الإسراء: 88.

(3) الاقتباس القرآنيّ والحديثيّ في مقامات الحريريّ، د.عرفة حلمي عباس: 230.

شيء من ألفاظِهِ وأساليبِهِ إلى الذهن، ممّا يؤدي بالشاعر إلى التفاعل مع النصّ القرآنيّ، وهكذا أفاد الشعر العربيَ من الموروث الدينيّ إفادَةً واضحةً، وذلك من استدعائِهِ لكثيرٍ من النصوص السماويّة[4].

وبشّار أحد الشعراء الذين تأثّروا بالقرآن الكريم، ولم يقتصر تأثرُهُ على الاقتباس القرآنيّ في شعرِهِ فحسب، بل ظهر ذلك التأثُّر حتى في بعض أقوالِهِ، إذ وردَ عنه أنَّهُ قال: ((أمَا والله إنّي لستُ أتلهّفُ على ما يفوتني من رؤية هذا العالم إلا على شيئين اثنين...الإنسان والسماء))[5]

فسُئِلَ عن سبب ذلك فأجابَ قائلاً: ((لأنَّ الله يقول: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[6]. ويقول: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾[7]، فلا شيء أحسن ممّا ذكرَهُ الله...))[8].

وقبل الدخول في اقتباسات بشّار بن بُرد لا بُدَّ من الإشارة الى أنَّ هذه الاقتباسات تنوّعَت وأخذَت أنماطاً مختلفةً، منها:

أ. الاقتباس النصيّ المباشر.

ب. الاقتباس التحويريّ.

ج. ا\الاقتباس الإشاريّ.

أ.الاقتباس النصيّ المباشر:

وهذا النوع من الاقتباس من أقلّ الأنواع حضوراً في شعر بشّار بن بُرد، ويُقصدُ به: ((ما التزم فيه الشاعر بلفظ النصّ القرآنيّ وتركيبِهِ))[9]، ومن أمثلة هذا النوع في شعر بشّار ما ذكرَهُ مادحاً داود بن يزيد، قال[10]:

بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحاتِ تُحْبى أضأنَ في الحبّ وجزن الحبَّا

مِثْل نُجوم اللَّيْلِ شُبَّتْ شبَّا أحِين شاع الشِّعْر واتْلأَبَّا

فالأثر القرآنيّ واضحٌ في المصراع الأول من البيت، فقد اقتبس الشاعر من قولِهِ تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[11].

وتعني الباقيات الصالحات: ((أعمال الخير التي تبقى ثمرتُها للإنسان))[12]، ويُجازى بها[13]، وتوظيفَهُ هاهنا أعطى صورةً دلاليّةً، إذ أنَّ الشاعرَ أراد أنْ يضفي صفة البقاء على قصائد المدح المحكمة بتوظيفِهِ لمدلول الآية المباركة.

ولعلَّ الشاعرَ أراد لفت انتباه الممدوح إلى هذه الفكرة بإشارتِهِ إلى أنَّ العطاء من الممدوح ينفد، والقصائد باقية مضيئة مثل النجوم النيّرة، مستفيداً من معنى الآية إذ ((يجري استحضار تلك التراكيب؛ لتوسيع دلالة النصّ وتعزيزِهِ))[14].

ومن الاقتباس القرآنيّ ما ذكرَهُ الشاعر في قصيدة أُخرى يكثر فيها من معاني الوعظ والحكمة، ويشكو حالَهُ بعد نهي الخليفة له بترك الغزل والنسيب، قال[15]:

---

(4) ينظر: الخطاب الدينيّ في الشعر العباسيّ الى نهاية القرن الرابع الهجريّ: 243.

(5) الاقتباس من القرآن الكريم، ابو منصور الثعالبي: 39.

(6) التين: 4.

(7) الملك: 5.

(8) الاقتباس من القرآن الكريم: 39.

(9) معجم آيات الاقتباس، حكمت فرح البدري: 21.

(10) الديوان: 1/163-164.

(11) الكهف: 46.

(12) الكشاف، ابو القاسم الزمخشري: 621.

(13) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: 343/13.

(14) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، كاظم عبد فريح المولى، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، 2006، ص: 32.

(15) الديوان: 211/4.

فالحمدُ للهِ لا شريكَ لَه ليْسَ بباقٍ شيءٌ على الزَّمَنِ

فالشاعر يستعين بثقافتِهِ القرآنيّة عندما يستوحي قولَهُ تعالى: ﴿**لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[16]، الذي يعني أنَّ أفعال الإنسان يجب أنْ تكون خالصة لله الواحد الأحد من غير أنْ يُشرَك به[17]، فاقتبسَ الشاعر جزءاً من هذه الآية المباركة من دون أنْ يغيّر في شكلها، ووظّفَها جاعلاً منها طريقاً لإيصال فكرةٍ تدورُ في خَلدِهِ، فإنَّ عدم قدرة الشاعر على الكلام والتصريح عمّا في النفس يقلّل من مكانتِهِ؛ ولعِظَمِ هذه الحال قرَنَها بصورة الموت والفناء الواقع لا محالَةَ، جاعلاً منه نهاية كلّ شيءٍ وإنْ اختلفت الأحوال وتقلّب الزّمان، مستفيداً من المضامين الحكميّة التي ترفد الشاعر بمساحة أوسع للتعبير والقول، فقد كانت الحكمة مبثوثة في ثنايا قصائد شاعرنا بشّار؛ لأنَّ الشاعر الناجح مَن تمكّنت أبياتُهُ الحكميّة مِنَ الوصول إلى القرّاء والسّامعين، أي تكون سائرةً شائعةً بين الناس، ولا تكون كذلك إلا إذا فرضَت نفسَها؛ بما تحملُهُ من قيمةٍ فنيّةٍ وموضوعيّةٍ[18]، فـ((الشاعر يسعى دائماً للوصول بنصّهِ الشعريّ إلى أعلى درجات المستوى الفنيّ، وبما أنَّهُ يتميّز بمهارة الاختيار؛ لذا يقتبس هذه الآية أو تلك؛ لإيضاح فكرة أو تعزيزها في البيت الشعريّ الذي شُرِّفَ بالنصّ المقتبس، وبذلك يكون الشاعر قد حقّقَ ما ابتغاهُ في اقتباسِهِ من النصوص القرآنيّة))[19]، وبذلك أفاد الشاعر بشّار بن بُرد من هذا النوع من الاقتباس، وأثّر في المتلقي، وأصابَ المعنى الذي أراد.

ب.الاقتباس التحويري:

ويُقصدُ به: ((أنْ يأتي الشاعر بالآية القرآنيّة فيُغيّرُ في الأثر المُقتبَس))[20]، فيعمدُ إلى التقديم والتأخير، أو إلى إبدال كلمة محل أُخرى، أو يزيد بعض الحروف أو ينقصها بحسب مقتضى الحال، أو بحسب ما تفرضُهُ عليه شاعريّتُهُ.

ومن أمثلة هذا النوع في شعر بشّار بن برد قولُهُ[21] في النّسيب:

إنَّ الغواني لا يُغْنينَ مَسْألةً ولاَ ترى مثْل ما يسْلُبْنَنَا سَلَبَا

دعهنَّ للمُسْهِب الضَّليل موردُهُ يَا قلبُ كُلُّ امرئٍ رهنٌ بِمَا اكْتسَبَا

فقد اقتبس الشاعر المصراع الثاني من البيت الأخير من قولِهِ تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾[22]، أي: ((رهينة عملها، ملازمةٌ لما اكتسَبَت من خيرٍ وشرٍّ))[23]، غير أنَّ الشاعر لم يأتِ بالآية القرآنيّة بشكلها النصيّ المباشر، بلْ اعتمَدَ شيئاً من التحوير بما يناسبُ سياق القصيدة، والشاعر في هذه الأبيات يصفُ حالَ الغواني ومغبة اللقاء بهنَّ من سلبٍ لعقول الرجال وقلوبهم، تاركاً حُبَهنَّ للذي ذهبَ عقلُهُ وكثر تخبطُهُ، فعندما يخاطبُ الشاعرُ قلبَهُ بقولِهِ: (يَا قلبُ)، يجعل عمل المرءِ مقياسَ ما يكسبُهُ، وفي الوقت نفسِهِ يستعينُ باللهِ ويلجأُ إلى رحابِهِ إذا عرَضْنَ لَهُ.

ومن هنا فقد رفدَ الشاعر صورتَهُ الشعريّة بأعمق الدلالات؛ لأنَّ ((لغة الكتب المقدّسة جزء من أثر التراث الأدبيّ في صنع الصورة الشعريّة، ومصدر مهم من مصادرها))[24].

وفي مقطوعةٍ غزليّةٍ لبشّار بن بُرد يقول فيها[25]:

قالَتْ: بِعَيْنِي عَيْنٌ مُوَكَّلَةٌ والأُسْدُ حَولِي فَكيفَ بالأَسَدِ

(16) الأنعام: 163.

(17) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ابن حيان الأندلسي: 704/4، والميزان في تفسير القرآن: 418/7.

(18) ينظر: بشّار بن بُرد حياتُهُ وشعرُهُ، د.هاشم منّاع: 103.

(19) أثر التراث في شعر البحتري، رائد حميد مجيد البطاط، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 2004، ص: 10.

(20) البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، علي الجارم ومصطفى امين: 270.

(21) الديوان: 370/1.

(22) المدثر: 38.

(23) الميزان في تفسير القرآن: 179/2.

(24) دير الملاك، د.محسناطيمش: 232.

(25) الديوان: 181/2-182.

مَا زِلْتُ أَغْتَرُّهُ وَأَخْتِلُهُ حَتَّى الْتَقَيْنا يَوْماً وَلَمْ نَكَدِ

حَتَّامَ أَدْعُو الصِّبَى وأَتْبَعُهُ والموتُ دَانٍ واللهُ بالرَّصَدِ؟

يستوحي الشاعر في المصراع الثاني من البيت الثالث قولَهُ تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾[26]، الدَّال على إرصاد الله العُصاةَ بالعقاب، ومراقبَتِهِ تعالى عبادَهُ حتى إذا طغوا أخذَهم بأشدِّ العقاب[27]، فالشاعر يصوّر حال لقائِهِ بإحدى حبيباتِهِ، وهو لقاءٌ محفوفٌ بالمخاطر وعيون الرقباء، الذين يصفهم –على لسانِ محبوبَتِهِ– بالأُسود، وهذا من باب إعطاء الصورة بعداً تشويقيّاً في حال هذا اللقاء، فهو لا يفتأُ يذكرُ هذه اللقاءات الماجنة المتكرّرة، ومن هنا فقد أفادَ الشاعرُ من معنى الآية المباركة، جاعلاً منها نتيجةً حتميّةً لما يفعلُهُ الإنسان في حياتِهِ، فكانت الآية الكريمة مفيدة للنصِّ الشعريّ من حيث توسيع الدلالة.

ويسترسلُ الشاعرُ في هذه القصيدة حتى يصلُ إلى قولِهِ[28]:

لا تَعْجَلِ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِتِهِ مَا حُمَّ آتٍ والنَّفْسُ فِي كَبَدِ

مستوحياً قولَهُ: **(والنَّفْسُ فِي كَبَدِ)**، من قولِهِ تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[29]، وتعني: التعب والمشقّة، فالإنسان يكدح فيُحاط بالتعب في جميع شؤون الحياة[30].

ويمكن أنْ يُدرَج قول الشاعر هنا ضمن أبيات الحكمة؛ لأنَّهُ ينمُّ عن فهَمٍ للواقع، إذ أنَّ عدم تأنّي الإنسان وتريثِهِ في أمرٍ ما قبلَ أنْ يحينَ حينهُ لا يجني منه سوى المكابدة والتعب، ومن ثَمَّ يأتي الأمر في وقتِهِ المُقرّر المحتوم.

فالاقتباس القرآنيّ وكثرتِهِ في القصيدة الواحدة يُعزّزُ النصَّ الشعريّ، ويُثريهِ بالمعاني الخلابة والواقعيّة التي تخاطبُ الإحساس بالصّدق الفني المُنبعِثُ عن صِدق الكتاب العزيز.

وقال بشّار بن بُرد[31] مُتغزلاً أيضاً:

دُرَّةٌ حيثُما أُديرَت أضاءتْ وَمشمٌّ من حَيثُما شُمَّ فَاحَا

وَجَنَاتٌ قالَ الإلَه لهَا كُو نِي، فكانَتْ رُوْحاً ورَوْحاً ورَاحَا

يستند الشاعرُ – هنا– على ثقافتِهِ القرآنيّة باستدعائِهِ نصّين من القرآن الكريم، ويبدو هذا واضحاً في البيت الثاني، إذ يوظف فيه النصّ الأول، وهو قولُهُ تعالى: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[32]، الدّال على قدرة الله تعالى في إنشاء الامور واختراعها[33]، والنصّ الثاني قولُهُ تعالى: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ**﴾[34]، الدَّال على جزاء الله للصالحين من

(26) الفجر: 14.

(27) ينظر: الكشاف: 1200، والدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السّمين الحلبي: 520/16، والميزان في تفسير القرآن: 308/20–309.

(28) الديوان: 183/2.

(29) البلد: 4.

(30) ينظر: الكشاف: 1203، والميزان في تفسير القرآن: 420/20.

(31) الديوان: 33/4.

(32) البقرة: 117.

(33) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 583/1.

(34) الواقعة: 89.

راحة ورزق وجنة نعيم[35].

فالشاعرُ في أبياتِهِ يصوّر إحدى النساء تصويراً تشتركُ فيه حاسّتان، الحاسّة البصريّة، في قولِهِ: **(دُرَّةٌ حيثُما أُديرَت أضاءتْ)**. والحاسّة الشميّة في قولِهِ: **(وَمشمٌّ من حَيثُما شُمَّ فَاحَا)**، ثمَّ يرفِدُ هذا التصوير بتصويرٍ آخرَ يشتركُ الخيالُ في إدراكِهِ، فهو يشبّهها بالجنّة التي خلقَها الله تعالى، فكانت هذه الحبيبة كأنَّها الدُّرّة في شكلِها، والمِسك في رائحتِها، والجنّة في جمالِها وحيويّتِها ورقّة نسيمِها، مستنداً على دلالة الآيتين الكريمتين في هذا التصوير.

من هنا يتبيّن لنا أنَّ استعمال اقتباساتٍ متعدّدةٍ في تكوين صورة واحدة ينبعُ من قدرة الشاعرِ وبراعتِهِ في تكوين لوحة شعريّة زاخرة بالمعاني والصّور الرائعة.

وأنشدَ بشّار[36] أيضاً:

لا أَحْمِلُ اللَّوْمَ فيها والغَرَامَ بها مَا كَلَّفَ اللهُ نَفْسَاً فَوْقَ مَا تَسَعُ

والواضحُ أنَّ الشاعرَ في المصراع الثاني من البيت يستدعي معنى الآية المباركة في قولِهِ تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[37]، مستفيداً من دلالة الآية على أنَّ الله تعالى لا يُكلّفُ النَّفسَ فوق طاقتِها، وفي هذا إخبارٌ عن عدلِهِ ورحمتِهِ[38].

فالشاعر لا يكترث إلى من يلومُهُ في غرام حبيبتِهِ والتّمسك بها؛ لأنَّهُ ليس باستطاعتِهِ أنْ يُبارح هذا الحب والغرام، فهو فوقَ ما تطيقُ نفسُهُ، وقد عزَّزَ هذا المعنى بمدلول الآية المباركة المذكورة.

ومن هنا نجد أنَّ ((التّعبير المُقتبس فضلاً عن أنَّهُ عبَّر عن المعنى بأكملِ لفظٍ وأروعِهِ فإنَّهُ نقلنا إلى فضاءاتٍ رحبةٍ))[39].

ويتّضح ممّا تقدّم أنَّ الشاعرَ قد أجادَ في هذا النوع من الاقتباس، فهو أدلى بمجموعة جميلة من الصّور والأفكار، ولاسيَّما في غرض الغزل.

ج.الاقتباس الإشاري:

شغلَ هذا النوع من الاقتباس حيزاً كبيراً في شعر بشّار بن بُرد، ولعلَّ ذلك يعود إلى الحرية التي وجدها الشاعر في التعامل مع هذا النوع، ويمثّل الاقتباس الإشاري ((ما أشارَ إليه من الآيات من غير أنْ يلتزمَ بلفظها وتركيبها، أو ما عُرِفَ فيه أنَّ الشاعرَ يُشيرُ إلى آيةٍ من الآيات القرآنيّة))[40]، ومن ذلك قول الشاعر بشّار[41] في قصيدةٍ مادحاً:

أَرْيَحِيٌّ لَهُ يَدٌ تُمْطِرُ النَّيـ ـرَ وأخرى سمٌّ على الأعداءِ

قَدْ كَسَانِي خَزّاً وأخدَ مَذِي الحُو ـلاَّ بنيَّتي في الحُلاءِ

وحَبَانِي بِهِ أَغَرَّ طَوِيلَ الباع صلتَ الخدَّينِ غضّ الفتاء

فَقَضَى اللَّه أنْ يَمُوتَ كما مَا تَ بَنونَا وسالفُ الآباءِ

(35) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 159/19.

(36) الديوان: 101/4.

(37) البقرة: 286.

(38) ينظر: الكشّاف: 159.

(39) الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريري: 59.

(40) معجم آيات الاقتباس: 19.

(41) الديوان: 137/1.

يشيرُ الشاعرُ في بيتِهِ الأخير إلى قول الله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[42]، الذي يدلُّ على قضاء الله سبحانه وتعالى على عبادِهِ بالموت، وحتميّة هذا القضاء على النَّاس كافة[43]، فالإنسانُ خُلِقَ في هذه الدنيا يعملُ إلا أنَّهُ في النِّهاية يموت كما مات آباؤُهُ وسالِفُ أجدادِهِ، وعلى الرّغم من مدح الشاعر شخصيّتَهُ الرئيسة في القصيدة وانتقالِهِ إلى رثاء شخصيَّةٍ أُخرى –يُقال أنَّهُ مملوكٌ وهبَهُ لَهُ عُقبة بن سلَم ثمَّ مات[44]– إلا أنَّهُ أجادَ في ربط دلالة الآية المباركة بمناسبة الأبيات، ومن هنا فإنَّ النصّ الشعريّ أفاد من الإشارة القرآنيّة إفادة واضحة، فقد استقى من دلالتها فضلاً عمَّا اكتسَبَهُ من روعة وتأنّق.

ومن أمثلة هذا النّوع من الاقتباس في شعر بشّار أيضاً قولُهُ في قصيدةٍ يُكثِرُ فيها من معاني الحِكَم والوصايا، يقول[45]:

عِيُّ الشَّرِيفَ يَشِينُ مَنْصِبَهُ وتَرَى الْوَضِيعَ يَزِينُهُ أَدَبُهْ

وَحَرَاثَةُ التَّقْوَى لَمُحْتَرِثٍ كَرَمُ الْمَعَادِ وَمَا لَهُ حَسَبُهْ

ففي البيت الثاني يستوحي قولَهُ تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾[46]، والنّص القرآنيّ هاهنا وإنْ كان لم يصرّح بلفظة **(التَّقوَى)** غير أنَّهُ دلَّ عليها بالقول: **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ)**، أي الأعمال الصّالحة التي تنقذ الإنسان في الآخرة وتُضاعِف لَهُ حسناتَهُ[47].

والشاعرُ كان مدركاً أنَّ دلالةَ **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ)** لا تنفكّ عن دلالةِ **(التَّقوَى)**، وقد حمَلَهُ هذا الإدراك على جعل الدّلالتين في لفظين متلازمين بمنزلة الكلمة الواحدة، فقال: **(وَحَرَاثَةُ التَّقوَى...)**، أي: نتيجة العمل الصّالح، ولا شكَّ في أنَّ الشاعر عندما عَمَدَ الى توظيف هذه الدلالة أو غيرها في مواضع الوصايا والحِكم كان يبغي من وراء ذلك تقوية المعنى وتأكيدَهُ، فيُفهم من أبيات الشاعرِ أنَّهُ ينبغي على الإنسان أنْ يلتزم بخُلُقٍ وأدبٍ رفيعٍ فيحظى بمرضاةِ اللهِ تعالى، وهذا ما أدركناهُ من حضور المعنى القرآنيّ في التّشكيل البيانيّ للنّصّ الشعريّ.

وفي قصيدةٍ لبشّار بن بُرد يمدحُ فيها محمّد المهدي، يقول[48]:

لَبِستُ الغِنَى طَوراً وأحوَجتُ تَارَة وَمَنَ ذَا مِنَ الأَحرَارِ لا يَتَحَوَّجُ

وَلَمَّا رَأيتُ النَّاسَ تَهوِي قُلُوبُهُم إلى مَلِكٍ يُجبَى إليهِ الشَّمَرَّجُ[49]

عَرَضتُ إلى وَجهِ الحَبِيبِ وَرَاعَني غَزَالٌ عليهِ زَعفَرَانٌ مُضَرَّجُ

نلاحظُ أنَّ البيتَ الثاني فيه إشارةٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[50]، فوصفَ بشّار ممدوحَهُ بأعلى الصِّفات

(42) آل عمران: 185.

(43) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 88/4.

(44) ينظر: الديوان: 137/1.

(45) الديوان: 275/1–276.

(46) الشورى: 20.

(47) ينظر: الكشاف: 977، والميزان في تفسير القرآن: 40/18.

(48) الديوان: 84/2.

(49) الشَّمَرَّجُ: ((يومٌ للعجم يستخرِجونَ فيه الخِراجَ في ثلاثِ مرّاتٍ)). لسان العرب، ابن منظور: 309/2.

(50) إبراهيم: 37.

عندما جعلَهُ أحد الصّالحين الذين تهوي إليهم قلوبُ النَّاسِ، مُكلّلاً إياهُ بقدسيّة أولاد الأنبياء، مستفيداً من مدلول الآية الكريمة التي دعا فيها سيّدُنا إبراهيم (عليه السلام) ربَّهُ بأنْ يجعل قلوبَ النّاسِ تميلُ إلى ذريّتِهِ وتطيرُ بهم تشوّقاً[51]، وعلى الرّغم من الفارق الملحوظ بين ما دلَّت عليهِ الآية وبين قصدِ الشاعرِ إلا أنَّهُ أجاد في توظيف المعنى القرآنيّ لتحقيق غرض المدح في النصّ الشعريّ، فجعلَ ممدوحَهُ قِبلَةً للعرب والعجم على حدٍّ سواء باستعمالِهِ الألفاظ التي لها القدرة على الوصف، إذ تآزرَتْ فبيَّنَت إعجاب الشاعر بالممدوح، وألقَتْ على النصّ طابعَ التأثير في النُّفوس، غير أنّنا لا نعدمُ وجود الدّافع التكسبي للشاعر في هذه القصيدة، وغيرها من قصائد المدح الأُخرى، إلا أنَّهُ ومع هذا التكسُّب استطاع أن يتعامل مع نصِّهِ الشعريّ بفنيّة عالية، ولاسيَّما في اقتباسه شيئاً من الموروث الدينيّ.

وفي أبياتٍ لبشّار يُلاحظُ عليها طابعَ الزُّهدِ والنُّصحِ، يقول[52]:

إنَّي وإنْ كانَ جَمعُ المَالِ يُعجِبُنِي مَايَعدِلُ المَالُ عِندِي صِحَّةَالجَّسَدِ

المَالُ زَينٌ وفي الأولادِ مُكرَمَةٌ وَالسُّقمُ يُنسيكَ ذِكرَ المَالِ وَالوَلَدِ

إذ يُومئ الشاعرُ في المصراع الأول من البيت الثاني إلى قولِهِ تعالى:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[53]، ويبدو أنَّ قولَهُ جلَّ وعَلا كان شديدُ الوقعِ والتأثيرِ في الشاعر، حتّى جعلَهُ يُنظم أبياتاً على شاكِلَةِ معنى الآية المباركة، فكثرةُ المالِ والبنينَ تُعجِبُ الشاعرَ غير أنَّها ((وإنْ تعلَّقَت بها القلوبُ، وتاقَت إليها النُّفوسُ تتوقّع منها الانتفاع، وتحفُّ بها الآمال، لكنَّها زينةٌ سريعةُ الزَّوالِ))[54]، لا تعادِلُ صحَّةَ الجَّسدِ.

وقد استدلَّ على رُجحان كفَّة الصحَّة على كفَّة حبِّ المالِ والبنينَ بأنْ لو طرأ عارض السُّقمِ على صحَّة الجَّسد ذهَبَت لذَّةُ المالِ والبنينَ، ونسيَ الإنسان كلَّ ما كان منها من الخُيلاء والرَّفاه والدَّعة.

فكانَ تأثيرُ التَّعبير القرآنيّ كبيراً في أبيات الشاعر؛ لأنَّهُ لم يستحوِذْ على قلوب النَّاس وعقولِهم من جهة الإيمانِ فحسب، بَلْ من جهة السموِّ والرِّفعة، فللخطاب القرآنيّ وضعٌ متميّزٌ في تشكيلات النصِّ وبنائِهِ، فهو يدخلُ في نفس المتلقّي بتفرُّدِهِ، ودقَّة تعبيرِهِ، وربط الموضوع بالمفردة المناسبة للمعنى المُبتَغَى[55].

ويوظّفُ الشاعرُ هذا النّوع من الاقتباس مرَّةً أُخرى، ففي أبياتٍ لَهُ يذكرُ فيها حبيبتَهُ (عبدة)، يقول[56]:

يَا عَبدُ إنِي قد ظُلِمتُ وإنَّنِي مُبدٍ مَقالَةَ رَاغِبٍ أو رَاهِبِ

وأتوبُ ممَّا تَكرَهِينَ لِتَقبَلِي واللَّهُ يَقبَلُ حُسنَ فِعلِ التَّائِبِ

فيستوحي الشاعرُ قولَهُ تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[57]، فاقتبَسَ الشاعرُ معنى الآية القرآنيّة، التي ركَّزَت على حُسن التّوبة والرُّجوع إلى اللهِ تعالى فهو الرحمن الرحيم[58]، فـ((المُتعارَف عليه أنَّ القرآنَ الكريم يقدّمُ الرَّحمةَ والعفوَ على العذاب والعقاب في أكثر آياتِهِ))[59].

فاستطاعَ الشاعرُ أنْ يفيدَ من مضمون الآية المباركة جاعلاً منها وساطة للاعتذار من حبيبَتِهِ على الرَّغم من ابتعاد

(51) ينظر: الكشاف: 553، والميزان في تفسير القرآن: 78/12.

(52) الديوان: 125/3.

(53) الكهف: 46.

(54) الميزان في تفسير القرآن: 342/3.

(55) ينظر: الإجمال والتفصيل في التَّعبير القرآنيّ، دراسة في الدِّلالة القرآنيّة، سيروان عبد الزهرة الجنابي: 3.

(56) الديوان: 18/4.

(57) المائدة: 39.

(58) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 356/5.

(59) التَّناص في شعر مسلم بن الوليد، محمّد جابر مزعل البدري، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية التربية، 2010، ص: 27.

الشاعر عن مفهوم التوجُّه في النصّ القرآنيّ الذي يجب أنْ يكونَ خالصاً لله وحدَهُ، وأثبتَ الشاعرُ في نصّهِ حُبَّهُ وهَيامَهُ لهذه المحبوبة بما حملَ من دلالاتٍ واسعةٍ معتمِداً على شاعريَّتِهِ وقدرتِهِ في توجيه غرض الغزل، وفي هذا دليلٌ على ظرافة شخصيَّة الشاعر بشّار بن بُرد، ورقَّة شعرِهِ وعذوبَتِهِ وقدرتِهِ على استثمار هذه الثقافة بما يخدم أغراضَهُ الشعريّة؛ ليصلَ بهذه الأغراض إلى قلوب الناس ويؤثر بهم أشد تأثير.

وفي قصيدةٍ يشيرُ فيها بشّار إلى نهي الخليفة لَهُ عن الغزل والتَّشبيب بالنساء[60]، يقول[61]:

واللهِ لَولا رِضَى الخَليفَة أعطَيْتُ ضَيماً عَليَّ في شَجَنِ

وَرُبَّمَا خَيرٌ لابنِ آدَمَفي الكُرهِ وَشقّ الهَوَى على البَدَنِ

ففي البيت الثاني إشارةٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[62]، الدّال على أنَّ النفوسَ قد تكرهُ الأشياء وتنفِرُ منها، والله يعلمُ ما هو خيرٌ لكم وأنتم لا تعلمونَ[63]، وهو توظيفٌ مناسبٌ وجميلٌ، فقد ترك بشّارٌ الغزل الفاحش على الرَّغم من بغضه لهذا النّهي، وشكواهُ التي تدلُّ على تمسُّكِهِ بهذا الغرض، وقد عدَّ هذا من نوائب الزَّمان التي لا يسلَم منها أحد، وتمسُّك بشّار بهذا اللون الشعريّ دليلٌ على قدرتِهِ فيه، وتمكُّنِهِ من التأثير في نفس المتلقّي؛ ممّا جعل الخليفةَ يوجهُ إليهِ أمراً بترك هذا النوع من القصيد.

ونلاحظُ هاهنا القدرة الفنيّة للشاعر بشّار في عرضِ شكواهُ في هذه الأبيات التي تحمِلُ معاني نفسيّة كبيرة أراد أنْ يطرحها للسَّامع، جاعلاً منها رسالة مفادها ثقة الشاعر بنفسِهِ، وتمكُّنِهِ من هذا الغرض.

وخلاصة القول في هذا الجانب أنَّ الثقافةَ القرآنيّةَ للشاعر – بكلّ أنواعِها– مكَّنَتهُ من إيصال أفكارٍ عديدة حاولَ فيها إعطاء أكبر بعد دلاليّ يفهمُهُ القارئ، فكانَ السّبيلُ إلى ذلك هو الاقتباس من القرآن الكريم الذي شَرِفَ النّصوص الشعريّة.

ثانياً: الاقتباس من القرآن الكريم في شعر أبو تمام

قد تأثر أبو تمام بالقرآن الكريم وظهرت آثارها في شعره, وذلك من خلال استخدامه معانيه وألفاظه وصوره [5]وتنوعت أفادة أبي تمام من القرآن فوظف كثيراً من ألفاظه ومعانيه ومن ذلك قوله :

الزَّنْجُ أَكْرَمُ منكمُ والرُّومُ والحَيْنُ أَيمَنُ مِنكمُ والشُّومُ

عياشُ إنكَ للئيمُ وإنني مذْ صرتَ موضعَ مطلبي للئيمُ

السحتُ أطيبُ من نوالكَ مطمعاً والمُهْلُ والغِسْلِينُ والزُّقُّومُ

نَجِسٌ تُدَبرُ أَمرَه شِيَمٌ له شكسٌ يدبرُ أمرهُنَّ اللومُ[64]

ففي هذه الأبيات يوظف قوله تعالى : **كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**[65]وهنا يهجو عياش بن لهيعة ، فيفضل أكل السحت والزقوم وشرب المهل على عطاء المهجو ، أيحاء منه ببخله وشدة لؤمه.

يستوحي بعض الألفاظ القرآنية في قوله:

تَزكو مَواعِدُهُ إذا وَعدُ اِمرِئٍ

أَنساكَ أَحلامَ الكَرى الأَضغاثا

(60) ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق القيرواني: 469/2.

(61) الديوان: 208/4.

(62) البقرة: 216.

(63) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 173/2.

(5)ينظر بهجت مجاهد ، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول

64 – أبو تمام ، الديوان ، ج4 ، ص425.

65 – سورة الدخان ، 45.

وَتَرى تَسَحُّبَنا عَلَيهِ كَأَنَّما
جِئناهُ نَطلُبُ عِندَهُ ميراثا
كَم مُسهِلٍ بِكَ لَو عَدَتكَ قِلاصُهُ
تَبغي سِواكَ لَأَوعَثَت إيعاثا
خَوَّلتَهُ عَيشاً أَغَنَّ وَجامِلاً
دَثراً وَمالاً صامِتاً وَأَثاثا
يا مالِكَ اِبنَ المالِكينَ أَرى الَّذي
كُنّا نُؤَمِّلُ مِن إِيابِكَ راثا
لَولا اِعتِمادُكَ كُنتُ ذا مَندوحَةٍ
عَن بَرقَعيدَ وَأَرضِ باعيناثا
وَالكامِخِيَّةُ لَم تَكُن لي مَنزِلاً
فَمَقابِرُ اللَذّاتِ مِن قَبراثا
لَم آتِها مِن أَيِّ وَجهٍ جِئتُها
إِلّا حَسِبتُ بُيوتَها أَجداثا[66]

فالشاعر يستعطف مالك بن طوق من خلال الإشارة الى حال الحياة في قريته ، باستخدام ألفاظ من القرآن الكريم (أظغاثا ، أجداثا) من قوله تعالى: **قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ**[67]وقوله تعالى: **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ**[68] ليؤثر في ممدوحة مما اضفى على شعره جمالاً ورونقاً.

وتجد قوله :

غادَيْتَهُمْ بالمَشْرِقَيْن بوَقْعَةٍ
صدعتْ صواعقُها جبالَ الرومِ
أخرَجْتَهُمْ بَلْ أَخرَجَتْهُمْ فِتنَةٌ
سَلَبتهُمُ مِنْ نَضرَةٍ ونَعِيمِ
نقلوا من الماءِ النمير وعيشةٍ
رغدٍ إلى الغسلين والزقومِ
والْحَرْبُ تَعْلَمُ حينَ تَجْهَلُ غَارَةٌ
تغلي على حطب القنا المحطومِ[69]

يصور أبو تمام ممدوحة كيف هزم أعداءه وانتقل حالهم من العز والكرامة والرخاء الى الذل والهوان والشقاء ، من خلال استخدام ألفاظ من الكتاب الحكيم في قوله تعالى: **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**[70]وقوله تعالى : **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ**[71] وقوله تعالى : **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**[72].

ويستوحي في بعض الأحيان لفظه من القرآن الكريم لفظه لرسم صورته:

([66]) أبو تمام ، الديوان ، ج4 ،ص320-322.
([67]) سورة يوسف ، 44.
([68]) سورة القمر ، 7.
([69]) أبو تمام ، الديوان ، ج3 ، ص265.
([70]) سورة المطففين ، 24.
([71]) سورة الدخان ، 43-44.
([72]) سورة الحاقة ، 35-36.

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصيب
أجبته معلناً بالسيف منصلتاً ولو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منقعراً ولم تعرج على الأوتاد والطنب[73]

تحدث أبو تمام عن المعتصم عندما فتح عمورية وكيف هزمهم وجعل عمود الشرك منقعراً أي مائل للسقوط مأخوذ من قوله تعالى : **تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**[74] فهذه اللفظة صيرت من البيت أكثر إيحاءً لأنها توحي بقوة وعظمة هذا العمل.

ويفخر أبو تمام قائلاً:

وأنتَ خَبِيرٌ كيفَ أبقَتْ أُسُودُنَابَنِي أَسَدٍ إنْ كان يَنْفَعُكَ الخُبْرُ
وقسمتنا الضيزى بنجدٍ وأهلهالنا خطوةٌ في أرضها ولهم فترُ
مساعٍ يضلُّ الشعرُ في كنهِ وصفهافما يهتدي إلاّ لأصغرها الشعرُ[75]

فقوم أبو تمام اشتهروا بالقوة والكرم والبأس الشديد وسرعة التطور وعلو المنزلة وهنا استوحى ألفاظاً من قوله تعالى : **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**[76] ليؤكد همة قومه ، وسبقهم للمعالي.

ويمدح المعتصم فيقول:

رمى بكَ اللهُ بُرْجَيْها فهدَّمها ولوْ رمى بكَ غيرُ اللهِ لمْ يصبِ
مِنْ بَعْدِ ما أَشَّبُوها واثقينَ بِهَا واللهُ مفتاحُ باب المعقل الأشبِ
وقال ذُو أَمْرِهِمْ لا مَرْتَعٌ صَدَدٌ للسارحينَ وليسَ الوردُ منْ كثبِ
أمانياً سلبتهمْ نجحَ هاجسها ظُبَى السيوفِ وأطراف القنا السُّلُبِ[77]

فقد وصف أبو تمام قتال المعتصم نصرة لدين الإسلام ولولا كان لغير ذلك لم ينتصر وهنا شبه المعتصم بجده محمد – صلوات الله وسلامه عليه – عندما كان في غزوة بدر[78] وهو بذلك يحاكي قوله تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**[79] وقوله تعالى: **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**[80]

ويشير أبو تمام الى عناوين بعض السور في مدح الواثق وتهنئته بالخلافة فيقول:

أَخَذَ الخِلافَةَ عَنْ أسِنَّتِه التي مَنَعَتْ حِمَى الآباءِ والأعمَامِ
فلسورةِ الأنفالِ في ميراثِهِ آثارُها ولسورة الأنعامِ
ما دامَ هارونُ الخليفةَ فالهدى في غِبْطَةٍ مَوْصَولةٍ بدَوامِ
إنا رحلنا واثقين بواثقٍ بالله شَمْسِ ضُحًى وَبَدْرِ تَمَامِ[81]

ففي ذكر أبي تمام لسورة الأنفال أشاره الى قوله تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**[82] وفي ذكره لسورة الأنعام أشاره الى

([73]) أبو تمام ، الديوان ، ج1 ، ص59.
([74]) سورة القمر ، 20.
([75]) أبو تمام ، الديوان ، ج4 ، ص578.
([76]) سورة النجم ، 22.
([77]) أبو تمام ، الديوان ، ج1 ، ص59.
([78]) التذوق الاسلوبي واللغوي لقصيدة أبو تمام في فتح عمورية ،ص54–60.
([79]) سورة الروم، 47.
([80]) سورة الأنفال ، 17.
([81]) أبو تمام ، الديوان ، ج3 ، ص204.
([82]) سورة الأنفال ، 75.

قوله تعالى : **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**[83] وقوله تعالى : **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**[84] اراد أن يدافع عن حق العباسيين بالخلافة بالإشارة الى لوطاً ابن أخ ابراهيم – عليهما السلام-- وكذلك قرابة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للعباس (رضي الله عنه) .

ويعاتب أبو تمام عياش بن لهيعة فيقول :

ليسَ يَدْرِي إلاَّ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ أيُّ شيءٍ تطوى عليهِ الصدورُ !
وَيقُولونَ إنَّكَ المَرْءُ بالغَيْـ بِ محامٍ عن الصديقِ نصورُ
فإذا جئتُ زائراً حجبتْ وجْـ هَكَ عنّي كآبَةٌ وبُسُورُ
فَتَطَلَّقْ معَ العَنايةِ إنَّ البِشْـ رَ في أكثر الأمورِ بشيرُ[85]

لأنه يرى عياش يظهر خلاف ما يبطن فيستعين بأية قرآنية لتطريز أبياته الشعرية والتعبير بما يدور في خاطرة من قوله تعالى : **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**[86]

ويهجو موسى ابن أبراهيم :

فاضَ اللِئامُ وَغاضَتِ الأَحسابُ وَاِجتُثَّتِ العَلياءُ وَالآدابُ
فَكَأَنَّ يَومَ البَعثِ فاجَأَهُم فَلاَ أنسابَ بَينَهُمُ وَلا أَسبابُ[87]

فيبين في قوله أن اللؤماء قد كثروا ، والأحساب استؤصلت وكأن يوم القيامة قد جاء فجأة ، ليؤكد أن المعنى اقبس من قوله تعالى : **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** [88]

ويشكر خالد بن يزيد الشيباني فيقول :

لَأَشكُرَنَّكَ إِن لَم أوتَ مِن أَجَليشُكراً يُوافيكَ عَنّي آخِرَ الأَبَدِ
وَإِن تَوَرَّدتُ مِن بَحرِ البُحورِ نَدىً وَلَم أَنَل مِنهُ إِلّا غُرفَةً بِيَدي[89]

فيبين مدى شكره وامتنانه لخالد بن يزيد ، حتى أنه سيشكره طول العمر حتى لو كان عطاؤه قليلاً ، لأنه يستحق المدح فهو أهل لذلك ، وقد اخذ معناه ولفظه من قوله تعالى :**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**[90].

ويظهر نص خلف نص أب تمام نص قرآني حين يقول :

يا سَمِيَّ الَّذي تَبَهَّلَ يَدعورَبَّهُ مُخلِصاً لَهُ في قُل أوحي
وَشَبيهَ الَّذي اِستَقَلَّت بِهِ العيرُ عَنِ الجُبِّ خاضِعاً كَالطَليحِ
وَمُكَنّىً تَتوقُ نَفسي إِلَيهِ بِالرَسولِ الكَريمِ بَعدَ المَسيحِ[91]

([83]) سورة الأنعام ، 83-86.
([84]) سورة الملك ،13-14.
([85]) أبو تمام ،الديوان ، ج4 ، 448.
([86]) سورة الملك ،13-14.
([87]) أبو تمام ، الديوان ، ج4 ، ص311.
([88]) سورة المؤمنون ، 101.
([89]) أبو تمام ، الديوان ، ج2 ، ص37.
([90]) سورة البقرة ، 249.
([91]) أبو تمام ، الديوان ، ج4 ، ص80.

إذ يخاطب أبو تمام شخص يدعى محمداً ، واراد أن يجعل له نوعاً من القداسة فاستخدم فعل الأمر (قل) الموجة لنبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) مستوحياً من قوله تعالى : **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**[92] اراد أبو تمام أن يجعل المخاطب في منزلة عالية ، حيث يلهم الحجة والبيان في تعامله.

ويصور أبو تمام أبو تمام صورة جميلة من المدح حيث يقول:

قَدْ رَأَوْهُ وهْوَ القَرِيْبُ بَعِيداً ورَأَوْهُ، وَهْوَ البَعِيدُ، قَرِيبَا
سكَّنَ الكيد فيهمُ إنَّ من أعـ ظَمِ إرْبٍ أَلاَّ يُسَمَّى أَرِيبا
مكرُهُمْ عندهُ فصيحٌ وإنْ همْ خاطبوا مكرهُ رأوهُ جليبا[93]

فقد صور ممدوحة بصورة القوي الشديد المنيع ، فأنهم يرونه على قربه منهم بعيداً لمناعته ، ويرونه قريباً منهم وهو بعيد لعزمه وهجومه الشديد ، حيث أن سياسته قد خفيت عليهم ، لأنه من الحنكة السياسية الا يظهر الدهاء لأعدائه ، وهو في معنى ولفظ مأخوذ من قوله تعالى : **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا** [94] فما أجمل هذا التصوير الرائع والأجمل اختيار اللفظ تتناسب مع اختيار الوصف للممدوح ، حتى يرفع من شأنه.

ويشير أبو تمام أشاره ضمنية الى مباركة الله سبحانه وتعالى لفتح عمورية بقوله:

فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لهُ وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ منكَ المُنى حُفَّلاً معسولةَ الحلبِ
أبقيْتَ جدَّ بني الإسلامِ في صعدٍ والمُشْرِكينَ ودَارَ الشرْكِ في صَبَبِ
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدى جَعَلُوا فداءها كلَّ أمٍّ منهمُ وأبِ
وبرْزةِ الوجهِ قدْ أعيتْ رياضتُهَا كِسْرَى وصدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ[95]

مأخوذ من قوله تعالى: **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**[96] أشاره الى أن السماء والأرض تتخذان موقفان من السرور والسخط تعبيراً عن ارادة رب العالمين ، فقد أضاف أبو تمام الأثواب حتى يعمق الإحساس بالفعل وتقريب الصورة للسامع، ووصف الأرض قد اكتست حلل السرور احتفاء بالنصر.

المبحث الثاني

توظيف القصص القرآنيّة

اولاً: توظيف القصص القرآنيّة في شعر بشار بن برد

تُعدُّ القصص القرآنيّة من المصادر الثقافيّة التي شكَّلت الثقافة الدينيّة عند الشاعر بشّار بن بُرد؛ لما فيها من موعظة وحكمة، فقد تزاحمَ الشعراء على توظيف الرمز الدينيّ في قصائِدِهم، حتى لم يبقَ – في الغالب– رمزٌ دينيّ إلا وتطرَّقَ اليه الشاعر؛ لتسليط الضوء على تجربةٍ ما[97]؛ لذلك استقى الشاعر من هذا المعين الثقافيّ ((متخيّراً لتجربتِهِ الشعريّة ما يلائمُ الموقفَ من هذه القصص))[98]، وبهذا كانت القصّة القرآنيّة مكمنَ إلهامٍ للشاعر، تمدُّهُ بعِبَرٍ ومُثُلٍ عُليا، ومن ثَمَّ توظيفها توظيفاً فنيّاً على وفق الموقف الشعريّ الذي يراهُ؛ لأنَّ القصص القرآنيّة: ((بالإضافة الى ما تحويهِ من صورة فنيّة رائعة، كذلك تصوَّرُ نفسيّة أولئك الذين تتحدَّثُ عنهم بصورة واضحة، بيّنة الاتجاه، لا تهمل جزئيّةً، ولا تنسى مشهداً))[99].

([92]) سورة الجن ، 1–2.
([93]) أبو تمام ، الديوان ، ج1 ، ص 163.
([94]) سورة المعارج ، 6–7.
([95]) أبو تمام ، الديوان ، ج1 ،ص46.
([96]) الأعراف ، 31.
(97) ينظر: القناع في الشعر العربيّ المعاصر، د.رعد احمد الزبيدي: 46.
(98) أثر ثقافة ابن الرُّومي في شعرِهِ، خليل كاظم غيلان، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2011، ص: 25.
(99) الصورة النفسيّة في القرآن الكريم، د.محمود سليم محمد هياجنه: 115.

ومن القصص التي اقتبَسَها شاعرنا بشّار بن بُرد قصَّةُ وَلَدَي آدم (عليه السلام) قابيل وهابيل، وذلك في قصيدةٍ تكثُرُ فيها الشّكايةُ من الحُسَّادِ والعُذَّالِ، قال[100]:

يلومني "عمروٌ" على إصبع نمَّتْ عليَّ السِّرَّ خرْساء

حَسَدْتَني حينَ أصَبْتُ الغنَى ما كنتَ إلاَّ كابن حوَّاء

لاقَى أخَاهُ مُسْلماً مُحْرماً بطعنةٍ في الصُّبح نجلاء[101]

ويُلاحظُ أنَّ الشاعرَ اتَّكأَ في نصِّهِ الشعريّ على قولِهِ تعالى:﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[102]، مستوحياً مضامين هذه القصّة القرآنيّة، التي بيَّنَت الحسد الذي حمَلَهُ قلبَ قابيل على أخيهِ هابيل عندما أوحى اللهُ تعالى إلى آدمَ (عليه السلام) أنْ يضعَ ميراثُ النبوَّة عندَهُ[103]، فالشاعر بعدَ أنْ أصابَهُ الخيرُ جاء حسَّادَهُ ليُنكِّدوا عليه، وكأنَّما وضعَ نفسَهُ موضِعَ المقتول بفعلِ الحسَدِ.

وعلى الرَّغم من الفارق بين دلالة الآية المباركة التي عَنَت إصابة الخير الأُخرويّ، ودلالة القصيدة التي تعني إصابة الخير الدُّنيويّ، إلا أنَّ الشاعرَ وُفِّقَ في توظيفِهِ مستفيداً من المعنى الكبير الواسع الذي نقلتهُ إلينا الآية الكريمة، فالشعراء استعانوا بالصوَّر والأمثال الواردة في سياق القصص القرآنيّ، فوظَّفوها في أشعارِهِم؛ لتفي بمقاصِدِهِم، وتُجسّد المعاني التي أرادوها، لاسيَّما تلك القصص التي تروي جانباً من حياة الأنبياء أو الأُمم الخالية[104].

ولقِصَّةِ سيِّدِنا نوحٍ (عليه السلام) حضورٌ في شعر بشّار، وذلك في قصيدةٍ لَهُ يتغزَّلُ فيها بإحدى حبيباتِهِ قائلاً[105]:

حدَّثْنِي الْعُيُونَ عنْها فحالفْ ت المصلى أدعو إلهي مكبا

كدُعاء الْمكرُوبِ فِي لُجَّةِ الْبحْ رِ يُنادي الرَّحْمنَ رغْباً ورَهْبَا

فاسْتجاب الدَّعاءَ واسْتوْجب الشُّكْ ر إلهٌ قريب ازداد قربا

فأبياتُ الشاعرِ تُحيلُنا إلى قِصَّةِ نبي الله نوحٍ (عليه السلام) التي جاء ذكرٌ منها في قولِهِ تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾[106]، ورُبَّما أحالَنا النصّ الشعريّ إلى قِصَّةٍ أُخرى، هي قِصَّةُ سيِّدِنا ذي النون (عليه السلام) الواردة في قولِهِ تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[107]، أو أنَّ النص مستوحى من قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾[108]، والشاعرُ في هذه الأبيات قد تبتّل إلى ربِّهِ تبتُّلَ الصّالحين في حال الكَرَب، وهو بذلك يريدُ حال الإخلاص المُطلق التي يكون فيها المُتبتِّل، ودلَّنا

(100) الديوان: 155/1.

(101) النجلاء: وتعني الشديدة، وهي ترتبط بالعين الحاسدة. ينظر: لسان العرب: 165/1.

(102) المائدة: 27.

(103) ينظر: قصص الأنبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري: 75.

(104) ينظر: أثر القرآن في الأدب العربيّ في القَرن الأول الهجريّ، د.ابتسام مرهون الصفّار: 106-107.

(105) الديوان: 393/1.

(106) الصافات: 75-76.

(107) الأنبياء: 87-88.

(108) لقمان: 32.

الشاعرُ على الخلوص في الدُّعاء من قولِهِ: **(لُجَّةِ الْبحْر)**، فهو سِمَةٌ أو علامةٌ على شدَّة الكَرَب الذي يخلُصُ فيها الدُّعاء، وقد أراد الشاعر من هذا الخلوص في الدُّعاء أنْ يَصِفَ شدَّة شغفِهِ بمحبوبتِهِ وهيامه بها؛ ولهذا نقلنا في أبياتِهِ إلى شيءٍ من التصوُّف والتَّطهير، وذلك في قولِهِ: **(يُنادي الرَّحْمنَ رغْباً ورَهْبَا)**، يريدُ بهذا التضرُّع والتوسُّل تحقيق عدم النأي عن حبيبتِهِ، فقرب الحبيبة كان هو المُراد، فاستعانَ الشاعرُ لتحقيق غايتِهِ بما استعانَ بِهِ الصّالحون لنيل ما يبتغون، وهو (الدُّعاء)، على الرَّغم من الفارق الكبير بين الغايتين.

ومن هنا فقد أفادَ الشاعرُ من هذه الآية أيّما إفادة؛ لما فيها من دورٍ موضوعيّ وعمقٍ دلاليّ، يؤديان إلى تحقيق غاياتٍ نفسيّةٍ، ما يجعلُها تلقي بإيقاعها المطلوب(109).

وفي قصيدةٍ أُخرى يرتقي الشاعرُ في توظيف قصّةٍ أُخرى من قصص الأنبياء بطريقة موفّقة، مادحاً المهدي وولديهِ موسى وهارون، قال(110):

فَاعقِد لَهُ يَا أَمِيرَ المؤْمِنينَ وَلاَ تنظر به أمداً قد طال ذا الأمدُ

واجعل بعينك فيه الآن قرتها فقد يقرُّ بِعَينِ الوالِدِ الوَلدُ

وَاعضُدُ أخاهُ بِهِلا تتركنَّهُمَا كسَاعِدٍ مُفرَدٍ ليسَتْ لهُ عضُدُ

فقد سِمعت بِمُوسَى حِين أَفظعهُ وَعِيدٌ فِرعون لو يَأتِي بِمَا يَعِدُ

حَتَّى استمدَّ بهارُونَ فآزَرَهُ فمِن هُناك أَتاهُ النَّصرُ وَالمددُ

فتبدو إشارةُ الشاعر واضحةً إلى قصّة النبيّ موسى (عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي** ﴾(111).

يُلاحظ أنَّ الشاعر أجرى تحويلاً في معنى الآية القرآنيّة في النصّ الشعريّ إلى غرض سياسي بحت، وبدا واضحاً من خلال القصيدة ولاء الشاعر للمهدي وأولاده، ورغبته التكسبيّة من وراء هذا الولاء، مستفيداً من التشابه بين أسماء ممدوحَيهِ والأسماء الواردة في النصّ القرآنيّ؛ للوصول إلى ما يريدُهُ في إرضاء ممدوحَيهِ من خلال رفعهم إلى مستوى الأنبياء والوصيّين، ولعلَّ الشاعر أراد من هذا التوظيف أن يوضح بأنَّ الميراث آلَ إلى ممدوحَيهِ عن طريق النبوّة، وهنا يمكن القول أنَّ هذا التوظيف يدلُّ على مقدرة الشاعر في استغلال الصور المتقاربة، وما تتركه في النفوس من إعجاب.

وقِصّة قوم هود (عليه السلام) أخذَتْ نصيبَها في شعر بشّار، قال(112):

لَو طالعَتْ من ثلاثِ المِصرِ واحدةٌ مُعَفَّرِينَ عَلَى السَّرَّاء ما عُمِرُوا

هُنَّ الثلاثُ اللواتي لو نَفَخْتَ بها أَبْنَاءَ عَادٍ عَلَى عِلاَّتِهِمْ دَمِرُوا

فالشاعر يُشيرُ إلى قصّة من قصص القرآن الكريم، وهي قصّة عاد قوم نبيّ الله هود (عليه السلام)، إذ ضمَّنَ قولَهُ تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ**

(109) ينظر: القصص في ظلال القرآن الكريم، د.حنان عدنان الشعار: 9.

(110) الديوان: 2/295-296.

(111) طه: 24-31.

(112) الديوان: 3/173-174.

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[113].

فقد أرادَ الشاعرُ من تضمين هذه القصّة استعارة جانب القوّة والشدَّة التي عُرِفُوا بها قوم هود (عليه السلام)، فأعطى فكرة للمتلقّي بأنَّ ما تحمَّلَهُ المسلمون بالبصرة – أرض الشاعر – من ظلمٍ وفقرٍ وشظف العيش، لا يستطيع أنْ يتحمَّلَهُ قومُ هودٍ بالرَّغم من قدرتهم وقوّتهم؛ ولهذا اختار الشاعر المعنى الذي يتناسب وقصدَهُ، وهنا إشارة واضحة لنوع الحُكم الذي كان في هذه المدينة وقدرة الشاعر على التشخيص.

ومن الجدير بالذكر أنَّ توظيف شخصيّة الرسول (صلى الله عليه وسلَّم) في مدح الخليفة المهدي كان من أولويّات بشّار، ومن أمثلة ذلك قولُهُ[114]:

إنَّ الذي أنْعَمَت خِلافَتُهُ بالنَّاسِ حَتَّى تَنَازَعُوا سَبَبَا

شَقيقُ مَنْ قَامَت الصَّلاةُ بِهِ لَم يَأتِ بُخلاً وَلَم يَقُل كَذِبَا

شِيبَت بأخلاقِهِ خَلائِقُهُ وَحَـــــازَ مِيـــراثَـــهُ إذَا انـتَســـبَا

يَغدو بِيُمنٍ مِن النبوَّةِ لا يُخلِفُ عزَّاصه إذَا اضطَرَبَا

فالشاعر يصوِّر قرابة ممدوحِهِ من الرسول (صلى الله عليه وسلَّم)، فيُضفي على هذا الممدوح صفاتٍ عديدة، منها: الكرم، والخُلُق الرَّفيع، والسَّماحة، والصدق، وعدم إخلاف الوعد، وهي جزء من صفات أخلاق رسول الله التي كلَّلها ممدوحَهُ، إذ ((كان المهديّ أكثر احتفالاً بالشعر والشعراء من أبيهِ المنصور، وكان زمانُهُ أكثر رخاءً وبسطةً، فلهجَ الشعراء بمدحِهِ، وسمَوهُ بابنِ ساقي الحجيج))[115].

وفي قصيد ةٍ أُخرى يستدعي الشاعر شخصيّة الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وسلَّم) وذلك في أثناء مدحِهِ لروح بن حاتم يقول[116]:

وَكَـــم مِن أبٍ غمـــرٍ لـ"روح بن حاتمٍ" يزين آباءً وزيَّنَهُ أبُ

هُم ذببـــوا عن عـــظـــم دين "محمدٍ" بأسيَافِهم إذْ لَيسَ فينَا مذبُ

يشيد الشاعر بآباء روح وبطولاتِهِم، فقد كان روح ببسالتِهِ وشجاعتِهِ امتداداً لآبائِهِ في ذبّهم عن الإسلام في ساحات الوغى حين يحمى الوطيس، حيث لا يكون إلا الرعب والخوف في قلوب الأعداء .

وهكذا فقد استوحى بشّارٌ عدداً من القصص القرآنيّة وضمَّنها شِعرَهُ؛ لأنَّهُ على علمٍ بأهميّة هذا الجانب الثقافيّ الذي يضيفُ إبداعاً إلى إبداعِهِ، ولم يقتصر اقتباس القصص القرآنيّ عندَهُ على غرضٍ معيّن، بَلْ نجدهُ في أغراض الشعر المتعدِّدة، لما فيها من عِبَرٍ ومعانٍ إنسانيّةٍ تُعزّز معنى النصّ الشعريّ الذي يرمي الشاعرُ إلى إبرازِهِ، فضلاً عن وقعِها الكبير في نفس المُتلقّي، ومن هنا يتبيّن أنَّ الشاعر كان على ثقافة واسعة؛ نتيجة استلهامه لمثل هذه الجوانب الثقافيّة، فقد عَلِمَ بأنَّها منهل سائغ شرابه، مطرزاً بها نصوصَهُ الشعريّة.

---

(113) فصلت: 15.

(114) الديوان: 346/1.

(115) التيّار الإسلاميّ في شعر العصر العباسيّ الأول: 233.

(116) الديوان: 360/1.

ثانياً: توظيف القصص القرآنيّة في شعر أبو تمام

تأثر أبو تمام بالقصص الدينية وأفاد منها بحكم قربه من الخليفة حيث كان يقدم لهم الموعظة والعبر من القصص المؤثرة ويحث عامة الناس على طاعة الخليفة ويحثهم على الدفاع عن الأراضي الإسلامية ، كما ويعتبر أبو تمام أن الثقافة الدينية هي النافذة لبقية الثقافات الاخرى القديم منها والجديد ، وكان يوظف القصص الدينية ويقتبس منها متى ما سنحت له الفرصة ومن الأمثلة على ذلك قوله[117]:

وَساعَدَهُ تَحتَ البَياتِ فَوارِسٌ تَخالُهُمُ في فَحمَةِ اللَيلِ أَنجُما

وَقَد نَثَرَتهُم رَوعَةٌ ثُمَّ أَحدَقوا بِهِ مِثلَما أَلَّفتَ عِقداً مُنَظَّما

بِسافِرِ حُرِّ الوَجهِ لَو رامَ سَوءَةً لَكانَ بِجِلبابِ الدُجى مُتَلَثِّما

مَثَّلتَ لَهُ تَحتَ الظَلامِ بِصورَةٍ عَلى البُعدِ أَقنَتهُ الحَياءَ فَصَمَّما

كَيوسُفَ لَمّا أَن رَأى أَمرَ رَبِّهِ وَقَد هَمَّ أَن يَعرورِيَ الذَنبَ أَحجَما

اقتبس أبو تمام قصة يوسف –عليه السلام –ليصف هيبة أبا الحسن الثغري في قلوب أصحابه وجيشة ، حيث أنهم كلما ارادوا الانسحاب من المعركة يتذكرونه ويبقون ثابتين وخص بالذكر أحد قادة جيشة كاد أن ينسحب ولكن تذكر أبا سعيد وثبت في الساحة وقاتل قتال الوحوش وقد ربط هذا لموقف بحادثة النبي يوسف –عليه السلام–عندما وصل به الحال أن يستجيب لقلبه لما اغرته زوجة عزيز مصر فتبين له البرهان من ربه فهرب ، وقد استوحى أبو تمام هذه الأبيات مستنيراً بقوله تعالى : **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**[118] .

ووظف أبو تمام قصة موسى –عليه السلام– مالك بن طوق فيقول[119] :

كأَنَّني قَدْ رأَيْتُ زُلْفَتَهُ عندإمامٍ بِقُرْبِهِ أَنِسِ

تبنى المعالي في ظلهِ ولهُ حظٌّ من الملكِ غيرُمختلسِ

فإنَّ موسى وصلى على روحهِ الربُّ صلاةً كثيرةَ القدسِ

صَارَ نَبِيّاً وعُظْمُ بُغْيَتِهِ في جذوةٍ للصلاءِ أو قبسِ

اراد أن يعطي أبو تمام مالك بن طوق شرفاً عظيماً عندما كان يريد أن يذهب للخليفة بأمر ما

لذلك اقتبس قصة موسى عندما ذهب ليحضر أهله بقبس من نار فأوتي النبوة مستوحياً ذلك من قوله تعالى : **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**[120] .

وظف أبو تمام قصة سيدنا داود –علية السلام– في قوله[121]:

أبا عليٍّ لصرفِ الدهرِ والغيرِ وللحوادثِ والأيامِ والعبرِ

أذكرتن يأ مرَ داودٍ وكنتُ فتىً مُصَرَّ فَالقَلْبِ في الأَهْواءِ والفِكَرِ

إنْ أنتَ لمْ تتركِ السيرَ الحثيث إلى جآذِرِالرُّومِ أَعنَقْنا إلى الخَزَرِ!

أَعندَ كَالشَّمْسُ قد رَاقَتْ مَحاسِنُها وأَنتَ مُشْتَغِلُ الأَحشاءِ بالقَمَرِ !

([117]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج3 ،ص 239–240.

([118]) سورة يوسف ، 22–24.

([119])أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج2 ، ص241

([120]) سورة طه ، 9–13.)

([121])أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره، ج4 ، ص463.

كان أبو تمام ذاهب الى الحسن بن وهب ومعه غلامه فأطال الحسن النظر الى الغلام الرومي ففطن أبو تمام لإدمان الحسن بن وهب النظر الى غلامه وقد ذكره بقصة سيدنا داود –عليه السلام في قولة تعالى : **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**[122] ، وقد استمد أبو تمام تفسير هذه الآية من الإسرائيليات [123]، وان هذا التفسير أعتمده الصولي في شرح هذه القصيدة فقال: ((كان لداود –عليه السلام– ثلاثمئة زوجة فأحب أن يتزوج امرأة لرجل ليس له غيرها ، وكذلك انت ، بقوله للحسن بن وهب : لك مئة غلام وتريد غلامي))[124].

يوظف غزوتي بدر وحنين في قولة[125]:

وَلَكِن أَذكَرَتنا يَومَ بَدرٍوَمُشتَجَرَ الأَسِنَّةِ في حُنَينِ

رَدَدتَ الدينَ وَهوَ قَريرُ عَينِيها وَالكُفرَ وَهوَ سَخينُ عَينِ

أَلا إِنَّ النَدى أَضحى أَميراًعَلى مالِ الأَميرِ أَبي الحُسَينِ

إِذا يَدُهُ بِنائِلِهِ اِستَهَلَّتفَوَيلٌ لِلنُضارِ وَلِلُّجَينِ

فقد وصف أبو تمام إيقاع ممدوحة بأعدائه بإيقاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمشركين لأن في كلا العملين خيراً للإسلام ونفعاً كثيراً وذلك لدحر المشركين عن الأراضي الإسلامية .

ويوظف قصة لقمان الحكيم في قوله[126]:

فإن شهدَ المقامةَ يومَ فصلٍ

رأيتَ نظيرَ لقمانِ الحكيمِ

إذا نزلَ النزيعُ بهمْ قروهُ

رياضَ الريف من أنفٍ جميمِ

وصف أبو تمام ممدوحة بلقمان الحكيم ليبين مدى حكمته في وقت الشدائد مستوحياً ذلك من قوله تعالى : **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**[127].

يوظف أبو تمام قصة آدم –عليه السلام– في قوله[128]:

أَنا في لَوعَةٍ وَحُزنٍ شَديدٍ لَيسَ عِندي لِلَوعَةٍ مِن مَزيدِ

بِأَبي شادِنٌ تَنَسَّمتُ مِن عَينَيهِ يَومَ الخَميسِ ريحَ الصُدودِ

صارَ ذَنبي كَذَنبِ آدَمَ يا عَمرُو فَأُخرِجتُ مِن جِنانِ الخُلودِ

لقد ربط أبو تمام قصة آدم –عليه السلام – وخروجه من الجنة عندما أخطأ وعصى الله سبحانه وتعالى بقصة محبوبته ،وهي بمثابة الجنة عنده وأخطاء معها فأخرجته من قلبها فكان جزاء كل منهما الحرمان مستوحياً ذلك من قوله تعالى : **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**[129] .

ويوظف قصة ثمود في قوله[130] :

ولمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَايَاتِك التي إِذَا ما اتلأَبَّتْ لا يُقَاومُهَا الصُّلْبُ

([122]) سورة ص ، 23.

([123]) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، سبق ذكره ، ص364.

([124]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج4 ، ص463.

([125]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ،ج3 ، ص307.

([126]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره، ج4 ، ص208.

([127]) سورة لقمان ، 12.127

([128]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ،ج4 ، 184.128

([129]) سورة البقرة ، 35–36.129

([130]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج1 ، ص189–190.130

تولَّى ولم يألُ الرَّدى في اتِّباعهِ كأنَّ الرَّدى في قصدهِ هائمٌ صبُّ
كأنَّ بلادَ الرُّومِ عُمَّتْ بصيحةٍ فَضَمَّتْ حَشَاها أَورَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ
بصَاغِرَةِ القُصْوَى وطِمَّيْنَ واقْتَرَى بلاد قَرَنْطَاوُ وسَوَابِلُ كَالسَّكْبُ
غَدَا خَائِفاً يَسْتَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِناً عليك فلا رسلٌ ثنتكَ ولا كتبُ
وما الأَسَدُ الضرْغَامُ يَوماً بِعَاكِس صَرِيمَتَه إِنْ أَنَّ بَصْبَصَ الكَلْبُ

هنا وصف لخالد بن يزيد الشيباني أحد قادة الجيوش ف زمن الخليفة المأمون ،وفي وقتها دارت حرب بين المسلمين وجيش الروم بقيادة توفيل ،وقد هزموا وولوا هاربين ولحقهم خالد بن يزيد بجنوده ، و ارسل توفيل الى المأمون يطلب الصلح فلم يجبه فأصابه الذعر والخوف ، وكان يهرب والردى يلاحقه وكأنما عمت بلاد الروم صيحة خلعت قلوبهم وكأنها الصيحة التي انذرت ثمود حين صاح السقب ((ولد الناقة)) التي عقروها عصياناً وكفراً ، فأرسل الله عليهم صيحة واحدة فكانوا هشيماً تذروه الرياح[131].

المبحث الثالث

الاقتباس من الحديث النبويّ الشريف

يأتي الحديث النبويّ الشريف بعد القرآن الكريم من حيث المكانة والقدسيّة، وهو المصدر الثاني من مصادر التّشريع، ويمثّل الاقتباس منه الانتفاع من معينٍ لا ينضب؛ لتأثيرِهِ في ثقافة العصر الفنيّة المتمثّلة بالأساليب والألفاظ والصّياغة، والمجال الموضوعيّ المتمثّل بالقيم الإسلاميّة العُليا[132].

اولاً: الاقتباس من الحديث النبويّ في شعر بشار بن برد

لقد وسِمَ شعر بشّار بن بُرد بمجموعة من الأحاديث النبويّة الشريفة، التي يبتغي منها تعزيز المعاني الشعريّة بالثقافة الدينيّة، وينشِدُ فصاحةَ الألفاظِ ونظمِها التركيبيّ.

وقد كان شاعرُنا مدركاً أهميّة الحديث وما يحتويهِ من بلاغةٍ عاليةٍ، وإيجازٍ، وحُسنَ تصويرٍ؛ لأنَّهُ يمثّلُ أقوالَ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلّم) وخُطَبِهِ.

ومن اقتباسات الشاعر من الموروث الإسلاميّ المتمثّل بالحديث النبويّ قولُهُ في قصيدةٍ تكُثُرُ فيها الشكوى من العُذّال والحُسّاد، قال[133]:

أنتَ امرُؤٌ في سُخطنا ناصبٌ ومِن هَوَانَا نَازِحٌ نَاءِ
كأنَّما أقسمتَ لا تبتغي برّي وَلا تَحْفل بإيتَائي
وَإِنْ تَعَلَّلتُ إِلَى زَلَّة أكلتُ في سبعة أمعاءِ

ففي المصراع الثاني من البيت الأخير يقتبس الشاعر جزءاً من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، وهو قولُهُ: **[المؤمنُ يأكلُ في معى واحدة، والكافرُ يأكلُ في سبعة أمعاء]**[134]، ويعني بِهِ الزُّهد بالدنيا والقناعة فيها، وكأنَّ المؤمن بزهدِهِ في الدُّنيا يأكلُ في معدةٍ واحدةٍ، والكافر لشدَّة حرصِهِ عليها يأكلُ في سبعة أمعاء، وأغلبُ الظنِّ أنَّ المُراد من قولِهِ: ((سبعة أمعاء)) هو السَّعي في السُّبل الكثيرة؛ للحصول على حُطام الدُّنيا، فهو كنايةٌ عن الشّره وعدم القناعة بما يكون بين يدي الكافر من الدُّنيا وملذَّاتِها، وقد كان هذا التّوظيف مناسباً، وقصد الشاعر الذي أضفى بِهِ على المُخاطَب صفة السَّعي الذي لا جدوى منهُ، وعدم القناعة بإصلاح ما يُفسِدُهُ بيديهِ من زلّةٍ لا تُغتَفر، ومن هنا فإنَّ الشاعر سعى إلى اختيار الاقتباس الذي ينسجم مع فكرتِهِ داخل النص، وهذا ما يشعر به

) ابن كثير ، قصص الأنبياء، سبق ذكره ، ص131.97(

(132) ينظر: التيّار الإسلاميّ في شعر العصر العباسيّ الأول، د.مجاهد مصطفى بهجت: 32.

(133) الديوان: 155/1.

(134) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، رقم الحديث: 5393، ص: 652.

القارئ للأبيات.

وفي قصيدةٍ أُخرى للشاعر يمدحُ فيها المهديّ، قال[135]:

وبشَّرتْ أرضَنا السماءُ به وسرّ أهل القُبُور ما عقبا

لله أهل القُبُور لو نُشِرُوا لاقَوا نعيماً واستجلموا أدبا

مهديّ آل الصلاة يقرؤه الـ قسُّ كتاباً دثرا جلا ريبا

وتُعدُّ هذا الأبيات من المبالغات التي مدح فيها بشّار المهدي العباسيّ، وذلك بإشارتِهِ إلى ما رُويَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآلهوصحبه وسلّم) بقولِهِ: **[من أنكرَ خروجَ المهديّ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمّد، ومن أنكرَ نزول عيسى فقد كفرَ، ومن أنكر خروجَ الدَّجالِ فقد كفرَ، فإنَّ جبريلَ (ﷺ) أخبرني بأنَّ الله عزَّ وجل يقول: من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتَّخذ ربّاً غيري]**[136].

فالشاعر في أبياتِهِ يحاول أنْ يسير في ظلال الحديث المبارك، مستفيداً من التشابه بين اسم ممدوحِهِ والاسم الوارد في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم)، متجاوزاً في ذلك ما عَناهُ الحديث فعلاً وهو المهدي (ﷺ) من ذريّة الإمام الحسين (ﷺ)، فالممدوح في نظر الشاعر أحد فروع شجرة النبوَّة، وقد بَشِّرَت بِهِ السّماءُ الأرضَ، ووردَ ذكرَهُ في الكتب السماويّة، ومنها: الإنجيل، على أنَّ هذه المعاني والتصورات قد تتعالى على الواقع الفعليّ، وهي أبعد ما تكون عن شخصيّة الممدوح، ورُبَّما أُريدَ من وراء ذلك جانباً تكسُّبياً بحتاً.

وعلى أيّة حال فقد أفاد الشاعر من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) على المستوى الفني من إكساء أبياتِهِ بهذا البعد التراثي الدينيّ، ومحاولتِهِ أيضاً إضفاء صفات خاصّة وفريدة على ممدوحِه.

وفي قصيدةٍ أُخرى يذكر فيها بشّار لوعة الحُبّ وما تجريهِ على المحبين، قال[137]:

وما بالُ قلبي لاَ يزُولُ عن الصِّبى وقد زعموا أن القلوبَ تقلبُ

فالشاعر في مصراعِهِ الثاني يشيرُ إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم): **[إنَّ قلوبَ بني آدمَ كلُّها بين اصبعين من أصابع الرحمان، كقلبٍ واحدٍ يصرّفُها حيث يشاء. ثُمَّ قال عليهِ أفضل الصّلاة والسلام: اللهمَّ مصرّف القلوب صرّف قلوبَنا على دينك]**[138]، وهذا الحديث يبيّن قدرة الله سبحانه وتعالى وسلطانِهِ على العباد، فهو القادر على هدايتهم وإنارة طريقَهم غير أنَّ الشاعرَ في نصِّهِ يبيّن إصرار قلبَهُ على الاستمرار بالهوى ومحبّة النساء، في محاولة منه للتصريح بما يدورُ في خُلدِهِ،مستفيداً من دلالة الحديث النبويّ وما يحتويهِ من إيجاز، ذلك أنَّ الشاعرَ إذا تفرَّغَ إلى تصوير نوازِعِهِ الذاتيّة من لهوٍ وعبَثٍ، أو غيرها من ظروف حياتِهِ الخاصّة أو الاجتماعيّة فإنَّهُ يتَّجه إلى اعتماد الألفاظ الواضحة المأنوسة والمعاني المفهومة[139]، فرفض الشاعر لأهوائِهِ، والتَّجدد المستمر لهذه الأهواء في الوقت ذاته مع إيمانه بسرعة تقلُّب القلوب جعلَهُ يتفاعل مع هذه الإشارة الدينيّة، التي من الطبيعي جاءت لخدمة النص وأمدتهُ بضروب مختلفة من الإيحاءات.

---

(135) الديوان: 1/346-347. **(دثر) : هو الكثير من كل شيء .لسان العرب : 4/ 277.**

(136) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريّتهم (عليهم السلام)، ابراهيم بن المؤيد الخراساني: 2/241-242. عن كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة: 1/586.

(137) الديوان: 1/357.

(138) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، رقم الحديث: 2654، ص: 1317.

(139) ينظر: الأثر الثقافيّ في الخطاب الشعريّ بين الأُمويّة والعباسيّة، كفاية عبد الحميد ناصر، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2010، ص: 120.

وفي أبياتٍ لبشّار يُظهِرُ فيها جانبَ الحكمةِ والتعقُّلِ، وما يجب أنْ يكونَ عليهِ الإنسانُ في حياتِهِ، قال[140]:

يَعيشُ المَرءُ مَا استَحيَا بخيرٍ وَيَبقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحاءُ

إِذَا لَم تَخشَ عَاقِبَةَ اللَّيالي وَلَم تَستَحيفَاصنَعْ مَا تَشاءُ

يستوحي الشاعرُ في هذا المعنى حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم): **[إنَّ ممَّا أدركَ النَّاسُ من كلام النبوّة، إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شِئتَ]**[141]، وهنا تأتي فكرة الشاعر مطابِقةً لمعنى الحديث النبويّ الذي يؤكد أهميّة ضبط السلوك الإنسانيّ، فالإنسان إذا لم يعرض الحياء على أفعالِهِ لم تكن هذه الأفعال منقادَةً بالعقل الذي يُحسّن السلوك، بَلْ تكون أفعالاً جامحةً محفوفةً بالمخاطر، وبتقلُّبات اللَّيالي وصروفِها التي تؤدي بصاحِبِها إلى خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة، وقد قرنَ الشاعرُ ديمومة الخير والعيش الكريم بالحياء، فبقاء الحياء مدعاةٌ لبقاء الخير، وقد شبّه الشاعر هذا البقاء ببقاء اللّحاء الذي أُنيط بقاء العود به.

ثانياً: الاقتباس من الحديث النبويّ في شعر أبو تمام

لقد اقتبس أبو تمام الحديث النبوي الشريف النصي واللفظي وبالإشارة،لتجميل أبياته الشعرية وباعتباره المصدر الثاني للثقافة الإسلامية فقد أفاد منه في مواضع كثيرة ، ومن الأمثلة على ذلك قوله[142]:

إسلمْ أميرَ المؤمنينَ لأمةٍ
نتجتْ رجاءكَ والرجاءُ عقامُ
إنَّ المكارمَ للخليفةِ لمْ تزلْ
واللهُ يعلمُ ذاك والأقوامُ
كُتِبَتْ لَهُ ولأوَّليهِ وراثَةً
في اللَّوْحِ حتَّى جَفَّتِ الأقلامُ
مُتَوَطِّئُو عَقِبَيْكَ في طَلَبِ العُلاَ
والمَجْدُ ثُمَّتَ تَسْتَوِي الأَقْدَامُ

ففي هذه الأبيات يمدح المأمون ويؤكد بأن المكارم متجذرة فيه أن حكمه لا مجال للنقاش فيه، وقد استوحى عبارة ((جفت الأقلام)) من الحديث النوي الشريف ليجمل أبياته الشعرية ،ويعمق الدلالة: **((جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَالَ لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ قَالَ فَفِيمَ الْعَمَلُ قَالَ زُهَيْرٌ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ مَا قَالَ فَقَالَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ))**[143].

ويمدح المعتصم في قوله [144]:

أعطى أمير المؤمنين سيوفهُ
فيه الرضا وحكومة المقتالِ
مستيقناً أن سوف يمحو قتلُه
ماكانَ مِنْ سَهْوٍ ومنْ إغفَالِ
مِثلُ الصَّلاةِ إذا أُقيمَتْ أَصلَحت

(140) الديوان: 7/4.
(141) صحيح البخاري، رقم الحديث: 3484، ص: 413.
([142]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج3 ، ص158.
([143]) ابن حنبل ، مسند ابن حنبل ، ج3 ، ص193.
([144]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج3 ، ص 134.

ماقَبْلَها مِنْ سَائرِ الأعمَالِ

يذكر أبو تمام فتنة الخرمية التي قام بها بابك الخرمي وقضى عليها المعتصم سنة 223هـ [145] وهنا يشيد أبو تمام بالمعتصم مستوحياً من الحديث النبوي الشريف :((**والصلاة عمود الدين تكمل بها الأعمال ، وهي أول ما يسأل عنها المسلم ، فأن صلحت صلح سائر عمله ، وأن فسدت فسد سائر عمله[146]**)) والقصد من الاقتباس تأكيد بأن المعتصم أكمل سائر عملة بقتل بابك ، وأن قتل بابك هو حسنه تضاف لأعمال المعتصم.

ويمدح المعتصم أيضاً بقوله[147]:

لَمْ يَغْزُ قَوْماً، ولَمْ يَنْهَدْ إلَى بَلَدٍ
إلاَّ تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرعُبِ
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً، يَوْمَ الْوَغَى، لَغَدا
مِنْنَفْسِهِ، وَحْدَهَا، فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

يشبه أبو تمام المعتصم بجده النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لأن المعتصم فيه ميزة جده وهو بث الرعب في قلوب أعدائه مسيرة شهرين وأنها ميزة مشتركة بين المعتصم و النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ، ويؤكد أن نصره بتأييد من الله عز وجل لأنه يحارب من أجل إعلاء كلمة الله لا لنفسه مستوحياً ذلك من الحديث النبوي : ((أعطيت خمسا ، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة[148])).

ويمدح الحسن بن وهب بقوله[149]:

لا طائش تهفو خلائقه، ولا

خشـن الوقار كأنه في محـفل

فكه يجم الجد أحيانا، وقد

ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

يبين أبو تمام أن المعتصم يذر الجد ، لأن الأنسان اذا حمل أمره على الجد يجد من العيش تنضيه ، مستوحياً ذلك من الحديث النبوي الشريف : ((**روحوا القلوب تع الذكر [150]**)).

يمدح المعتصم بقوله [151]:

جلا ظلماتِ الظلم ِعن وجه ِأُمَّة

أَضَاءَ لَها من ْكَوْكب الْحَقِّ آفِلُهْ

ولاذَتْ بِحقْويْها لخِلافَةُ والتَقَتْ

على خدرْها أرمَاحُهُ ومناصلُه

([145]) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج5 ، ص260-268.

([146]) الصالحي ، الشذرة في الأحاديث المشتهرة ، ج1 ، ص366.

([147]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج1 ، 26.

([148]) البخاري،صحيح البخاري، 624 ، الجيلاني،فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد،ج1 ،ص561.

([149]) أبو تمام ، الديوان ، سبق ذكره ، ج3 ، ص37.

([150]) ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، ج3 ، ص475.

([151]) أبو تمام ، الديوان ، ج1 ، ص59.

يؤيد المعتصم في الخلافة ويبين فضائله على أمته من إزالة الظلم إقامة العدل وإرجاع الحقوق المسلوبة لأهلها ، مستمداً أبياته لفظاً ومعنى من الحديث النبوي الشريف **((الظلم ظلمات يوم القيامة[1]))**

وبذلك استطاع الشاعرُ توظيفَ الحديث النبويّ الشريف بشكلٍ مباشرٍ بإذابتِهِ في النصّ الشعريّ الذي أتى فيهِ الحديثُ متناسباً ومضامين الحكمة، ودلَّ توظيفُهُ بأنَّ الشاعر كان على ثقافة جيدة بالحديث النبوي الشريف.

النتائج:

- بشّار أحد الشعراء الذين تأثّروا بالقرآن الكريم، ولم يقتصر تأثرُهُ على الاقتباس القرآنيّ في شعرِهِ فحسب، بل ظهر ذلك التأثُّر حتى في بعض أقوالِهِ.
- الاقتباس النصّي المباشر من أقلّ الأنواع حضوراً في شعر بشّار بن بُرد.
- أجادَ بشّار في نمط الاقتباس التحويري، فهو أدلى بمجموعة جميلة من الصّور والأفكار، ولاسيَّما في غرض الغزل.
- الثقافةَ القرآنيّةَ لبشّار – بكلّ أنواعِها– مكَّنَتهُ من إيصال أفكارٍ عديدة حاولَ فيها إعطاء أكبر بعد دلاليّ يفهمُهُ القارئ.
- وسِمَ شعر بشّار بن بُرد بمجموعة من الأحاديث النبويّة الشريفة، التي يبتغي منها تعزيز المعاني الشعريّة بالثقافة الدينيّة .
- تأثر أبو تمام بالقرآن الكريم وظهرت آثارها في شعره, وذلك من خلال استخدامه معانيه وألفاظه وصوره.
- أشار أبو تمام في شعره لبعض السور مثل الأنفال والأنعام.
- تأثر أبو تمام بالقصص الدينية وأفاد منها بحكم قربه من الخليفة.
- اقتبس أبو تمام الحديث النبوي الشريف النصي واللفظي وبالإشارة لتجميل أبياته الشعرية.

المصادر والمراجع:

- أثر التراث في شعر البحتري، رائد حميد مجيد البطاط، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 2004.
- الأثر الثقافيّ في الخطاب الشعريّ بين الأُمويّة والعباسيّة، كفاية عبد الحميد ناصر، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2010.
- أثر القرآن في الأدب العربيّ في القَرن الأول الهجريّ، د.ابتسام مرهون الصفّار، دار المقتبس، بيروت، 1435هـ – 2014م.
- أثر ثقافة ابن الرُّومي في شعرِهِ، خليل كاظم غيلان، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2011.
- الإجمال والتفصيل في التَّعبير القرآنيّ، دراسة في الدِّلالة القرآنيّة، سيروان عبد الزهرة الجنابي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، جامعة الكوفة، 1427هـ – 200م.
- الاقتباس القرآنيّ والحديثيّ في مقامات الحريريّ، د.عرفة حلمي عباس، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
- الاقتباس من القرآن الكريم، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: ابتسا مرهون الصغار، ومجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط1، 1412هـ – 1992م.
- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، كاظم عبد فريح المولى، أُطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، 2006.
- البحر المحيط في التفسير، ابن حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- بشّار بن بُرد حياتُهُ وشعرُهُ، د.هاشم منّاع، دار الفكر العربي، بيروت، 1994م.
- البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، علي الجارم ومصطفى امين، داار المعارف، د. ت.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.
- التذوق الاسلوبي واللغوي لقصيدة أبو تمام في فتح عمورية، محمد علي أبو حمدة،
- التَّناص في شعر مسلم بن الوليد، محمّد جابر مزعل البدري، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية التربية، 2010.
- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، بهجت مجاهد ، دار عمار للنشر والتوزيع، 2017م.
- الجيلاني الصمد في توضيح الأدب المفرد ،فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، 1416هـ 1995م.
- الخطاب الدينيّ في الشعر العباسيّ الى نهاية القرن الرابع الهجريّ، محمود سليم هياجنة، عالم الكتب، عمان، 2009م.
- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السّمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ت.
- دير الملاك، د.محسن اطيمش، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
- ديوان أبو تمام، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار الكتاب العربي، 1414هـ – 1994م.
- ديوان بشار، ابو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلى، جمع وشرح: محمد الطاهر بن عاشور، مجمع اللغة العربية، مصر، 1376هـ – 1957م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- الشذرة في الأحاديث المشتهرة، الصالحي، ابن طولون الصالحي/شمس الدين محمد بن علي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان.

- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- الصورة النفسيّة في القرآن الكريم، د.محمود سليم محمد هياجنهالمعارف، القاهرة، ط5، د. ت.
- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريّتهم (عليهم السلام)، ابراهيم بن المؤيد الخراساني،
- قصص الأنبياء ، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968م
- قصص الأنبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- القناع في الشعر العربيّ المعاصر، د.رعد احمد الزبيدي، دار الينابيع، دمشق، 2008م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ.
- مسند ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الارسالة، ط1، 1421هـ - 2001م,
- مصنف ابن أبي شيبة ، ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.
- معجم آيات الاقتباس، حكمت فرج البدري، دار بغداد للنشر، العراق، 1980م.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1، 1997م.